زراعة الكيف بقبيلة بني زروال
ووقعها السوسيو مجالي

الباحث مناجي محمد
الباحثة صباح بوصفيحة
الباحثة كريمة اليوسفي
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس
المغرب

تقديم:

ينتمي مجال قبيلة بني زروال إلى المناطق الهشة/المهمشة ضمن الريف الأوسط، حيث تعاني العديد من الاختلالات المجالية والاقتصادية والاجتماعية، فالموارد الطبيعية تعرف تدهورا ملحوظا، نتيجة الظروف المناخية غير الملائمة، والضغط البشري المكثف، إذ تعاني التربة من ظاهرة التعرية بشتى أنواعها، إضافة الى تراجع الغطاء الغابوي واستنزاف الموارد المائية وتلويثها...إلخ.

ديمغرافيا، عرفت الكثافة السكانية ارتفاعا نتيجة قدم الاستقرار وتعدد القبائل بالمنطقة (بني زروال، بني ورياغل، بني أحمد...)، كل هذه العوامل نتج عنها فقدان التوازن بين الموارد الطبيعية المحلية وحاجيات الساكنة المتزايدة.

الإشكالية:

أمام تفاقم هذه الاشكالات، وفشل تدخلات الدولة في تعبئة واستثمار ما تزخر به المنطقة من مؤهلات تنموية مهمة(سياحية)، لتطوير البنيات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية، ولضمان التوازن بين إمكانيات المجال ومتطلبات سكانه، لم يجد السكان خيارا في البحث عن مصادر أخرى تمكنهم من تحسين أوضاعهم المعيشية المزرية، سوى التوسع على الملك الغابوي لتوفير الأرض، وذلك ليس لا قامة زراعات تقليدية (حبوب، قطاني...) وإنما للتعاطي لزراعة دخيلة متمثلة في زراعة الكيف. ونهدف من دراسة هذا الموضوع إلى إبراز الوقع السوسيومجالي لهذه الزراعة بالنسبة لساكنة قبيلة بني زروال من خلال تحسن ظروفهم المعيشية، وما تسببه من اختلالات في التوازنات بالمجال.

ولمقاربة هذه الاشكالية، نسعى للإجابة عن التساؤلات التالية:

ماهي المؤهلات الطبيعية والبشرية بمنطقة بقبيلة بني زروال؟

ما هي أهم العوامل التي أدت إلى بروز زراعة القنب الهندي بهذه القبيلة؟

أين تتجلى مختلف الانعكاسات المترتبة عن هذه الزراعة على مستوى الانسان والمجال بقبيلة بني زروال؟

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية دراسو موضوع الكيف ، في حساسيته من جهة والدينامية السوسيو اقتصادية والمجالية التي أحدثتها هذه الزراعة بالمجال المدروس من جهة ثانية ، وهو ما رصدناه من خلال تحسن المستوى المعيشي للمزارعين ونمو واستقرار قدرتهم الشرائية، وبالتالي أضحي المنطق الاقتصادي المحض والمرتبط أساسا بزراعة الكيف(دون الأخذ بعين الاعتبار مختلف الجوانب : الاجتماعية ، البيئية...الخ)، هو الذي يميز عقلية الفلاح القروي ، نظرا لغياب أي منتوج فلاحي يضاهي مردودية الكيف ، كما أن فائض القيمة المحصل عليه ساهم في مجمل التحولات التي عرفها المجال.

منهجية الدراسة:

ولمعالجة هذا الموضوع قمنا بمجموعة من المراحل من قبيل الاطلاع على بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، وكذا القيام بزيارات ميدانية للمجال المدروس عموما، وإلى حقول الكيف على وجه الخصوص قصد تحديد مختلف الظواهر وتصويرها، إضافة إلى تنظيم مقابلات مع مزارعي الكيف قصد جمع مختلف المعلومات حول هذه النبتة وأخذ ارتساماتهم واقتراحاتهم، ثم الاتصال بالمصالح والإدارات بهدف جمع والوثائق والاحصائيات .

وبناء على هذه المعطيات قمنا بتقسيم هذا الموضوع إلى المحاور التالية:

- المؤهلات الطبيعية والبشرية بقبيلة بني زروال.
- العوامل التي أدت إلى بروز زراعة القنب الهندي بقبيلة بني زروال.
- الوقع السوسيو مجالي لزراعة الكيف بقبيلة بني زروال.

أهداف الموضوع:

تروم هذه الدراسة بشكل عام تحديد الاهداف التالية:

كوني أنتمي للمجال المدروس، أسعى إلى الإسهام من منطلق الحقل الأكاديمي في تقديم بعض الحلول للمشاكل التي تعرفها قبيلة بني زروال، وكذا تنمية الرصيد الثقافي والعلمي لهذه القبيلة.

محاولة مقاربة موضوع زراعة الكيف بهذا المجال، من خلال إبراز العوامل التي أدت إلى انتشارها وأهميتها بالنسبة للساكنة المحلية، ثم رصد الانعكاسات السوسيومجالية الناتجة عنها .

تقديم مجال الدراسة:

1. الموقع الجغرافي لقبيلة بني زروال

خريطة رقم1: موقع مجال قبيلة بني زروال ضمن اقليم تاونات وضمن خريطة المغرب

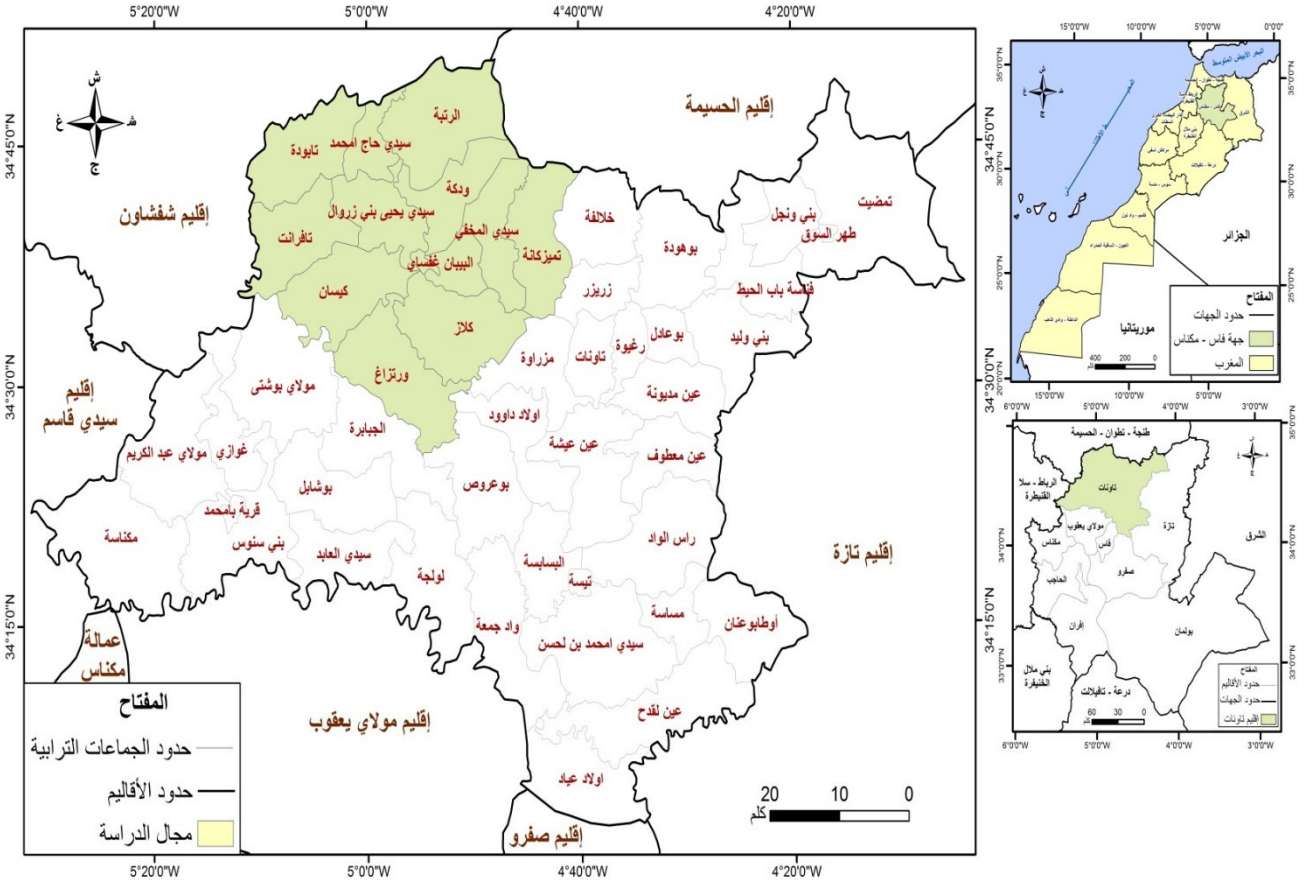

المصدر: وزارة الداخلية (بتصرف)

تنتمي قبيلة بني زروال إلى سلسلة جبال الريف الأوسط والتي تقع بين خطي طول 4° 45' و5° غرب خط كرينتش، وخطي عرض 34° 30' و34° 45'، شمال خط الاستواء. على مساحة تقدر بحوالي 9,8 كلم2. تمتد في جزئها الغربي لتشمل الحدود الإدارية لشفشاون المنتمية لسلسلة الريف الغربي، تلامس في جزئها الشرقي الحدود الإدارية لدائرة تاونات الموالية لجماعة متيوة، أما في جزئها الجنوبي فهي تحد بقبيلة بني ورياغل وقبيلة الحياينة، وفي جزئها الشمالي تتوغل في دائرة كتامة التابعة لإقليم الحسيمة...إلخ. وتعرف بمنطقة جبالة، حيث "يتعلق الأمر إذن بمجال اجتماعي لا يزال حبيس ظروف طبيعية ورواسب تاريخية فهو مجال لا يتوفر على الإمكانيات اللازمة للتخفيف من حدة تعرية التربة، كما أنه مجال تم تشكيله بشريا وعقاريا "1.

نتائج ومناقشة:

1. الإطار الطبيعي والبشري لمجال الدراسة

2. تضاريس يطغى عليها الطابع الجبلي

تتميز المنطقة بانتمائها الى المجال الجبلي بالقسم الشمالي للمغرب، يظهر ذلك من خلال تعدد الانحدارات وفئات الارتفاعات.

خريطة رقم 2: التضاريس وفئات الارتفاع بالمجال المدروس

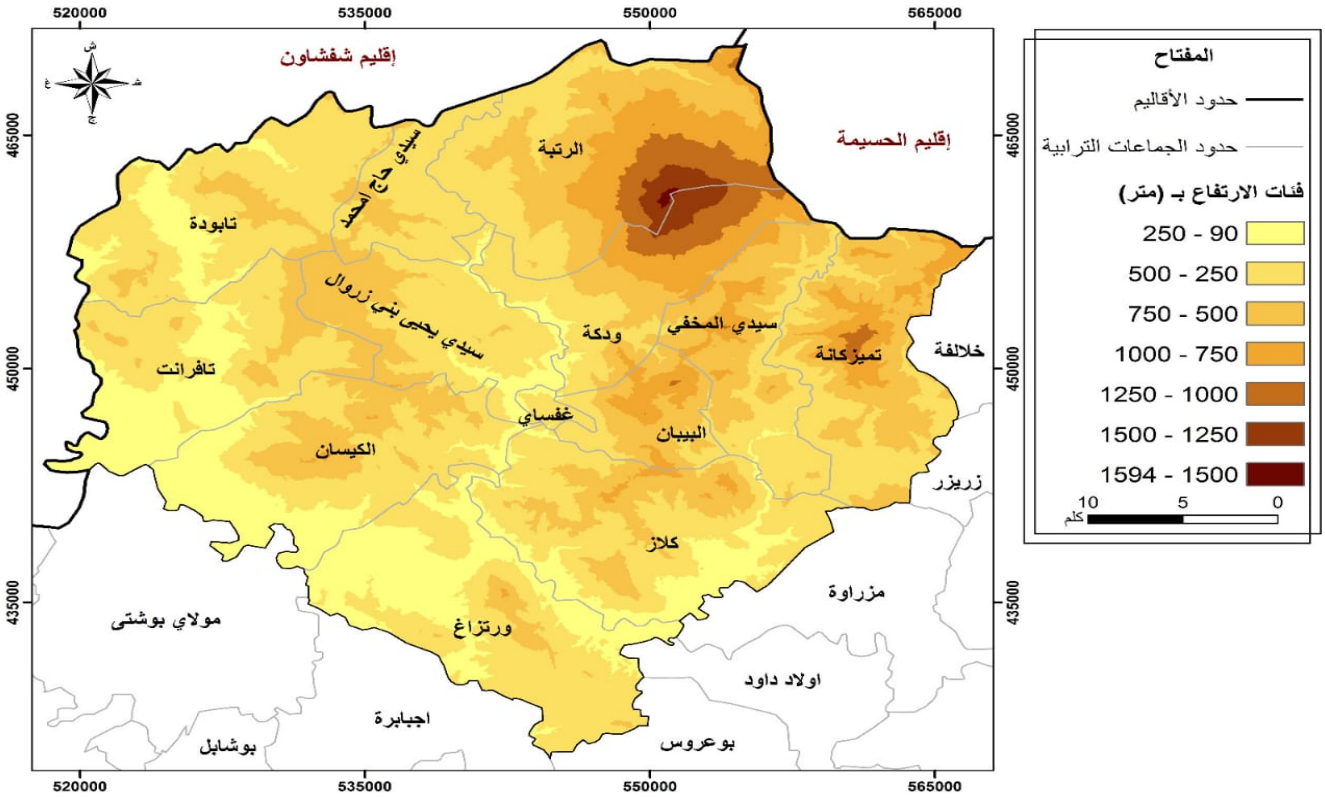

المصدر: النموذج الرقمي للأراضي MNT + مجهود شخصي

انطلاقا من الخريطة أعلاه يتضح أن مجال الدراسة يضم أشكالا طبوغرافية تتميز بالتجزيئ وشدة تقطع السطح، وهي مميزات السلسلة الريفية خاصة في جزئها الأوسط، باعتبار أن المنطقة جزء لا ينفصل عن المجال الريفي وحسب Maurer (G) "فإن الجبال المنخفضة للريف الأوسط تبدو ظاهريا الأكثر تجزيئا من غيرها في الريف، لكن عندما نتوغل داخلها يظهر التجانس العجيب للوحدات الصغيرة التي تشكلها، إذ يتميز كل عنصر بارتفاعه المتوسط وبنظام جريانه وبوجود مستويات عليا مجاورة لمستويات منخفضة وبأعراف تتخذ عدة اتجاهات وبوجود تضاريس حادة ومنعزلة وغير مرتبة يصعب معه تحديد العلاقات التي توحدها. ويرى أن هذه الخاصية ناتجة عن البنية جد المعقدة الذي تميز هذا الجزء من الريف الجنوبي حيث تتعاقب الصخور الصلبة والهشة، وحيث تتخذ بروزات التريا斯 الجبسية الملحية"2.

تنقسم المنطقة على مستوى الارتفاع إلى ثلاث وحدات وهي:

من الجنوب باتجاه الشمال تنتشر وحدة جبلية شاسعة، يمثل بها جبل ودكة نموذجا للجبال المنعزلة، حيث يعد أعلى قمة بالمنطقة إذ يصل ارتفاعه إلى 1600م.

بالجنوب نجد جبال الجاية شرق واد أولاي، حيث تتراوح الارتفاعات "ما بين 741 متر بجبل عين الريحان، و896 متر عند سقف بوليد"3.

وحدة المنخفضات والتي تمتد على طول واد أولاي، إذ يعد هذا الأخير" منخفض ضيق جوانبه منتظمة خطية، بينما يعرف وسطه تناقضات تسقط عليه صفة المنخفض نظرا لوجود مجموعة من الأعراف مثل جبل بوسفولم"4.

2.1. بنية جيولوجية معقدة

خريطة رقم 3: الخريطة الجيولوجية للمجال المدروس.

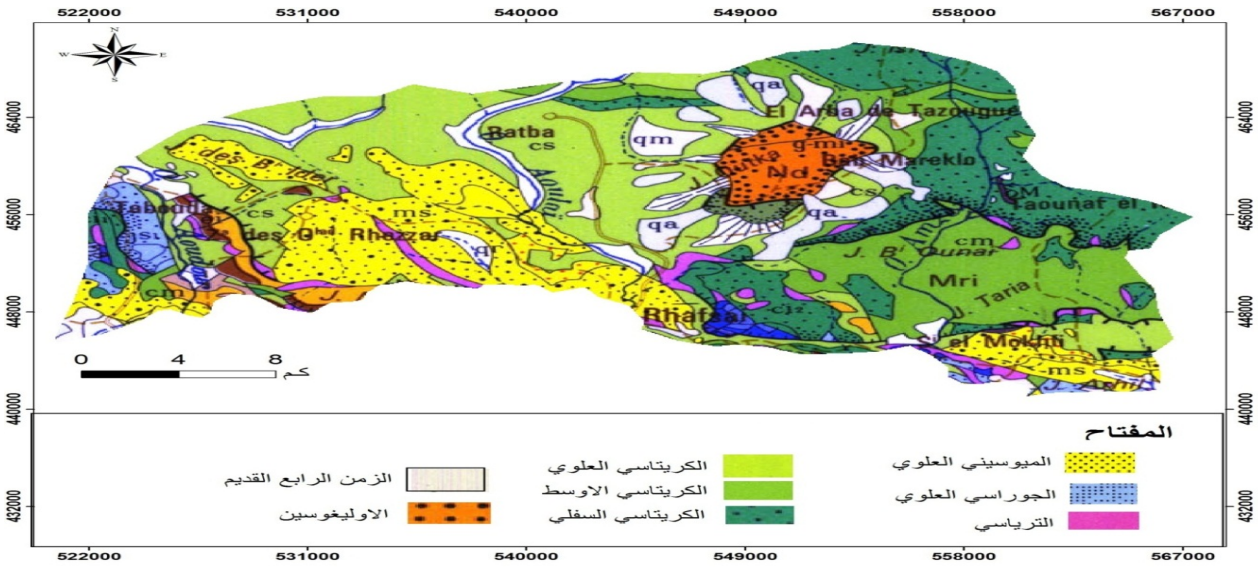

المصدر:الخريطة الجيولوجية لسلسلة جبال الريف بمقياس 1:500000

تنتمي البنية الجيولوجية لمنطقة الدراسة "لسلسلة جبال الريف التي تشكلت معالمها الأولى بالموازاة مع الفترة التي تكونت فيها السلسلة الألبية نهاية الزمن الأول وأواخر الزمن الثاني، واكتملت مع الحركات الميوسينية نهاية الزمن الثالث "5.

وقد ميز الباحث نجيم أعلوان استنادا إلى (G.Maurer 1968) بين مرحلتين لتكوين المنطقة:

مرحلة الغمر البحري.

مرحلة ما بعد الطرطوني الأوسط.

3.1. سيادة المناخ المتوسطي بالمنطقة

1.3.1. التساقطات

يتميز فصل الشتاء عموما بالاعتدال، رغم أن الحرارة قد تنزل إلى ما دون الصفر درجة كما هو الحال بالنسبة لمنطقة ودكة (Aalouan N ,1952)، كما تتميز التساقطات بالتركز الواضح في الزمان والمكان بحيث يمكن أن تصل إلى 120 ملم في اليوم الواحد، وتزداد أهمية التساقطات من الجنوب نحو الشمال ومن الشرق باتجاه الغرب تحت تأثير عاملي الارتفاع والموقع الجغرافي.... الخ.

1.3.2. الحرارة

تهدف متغيرة الحرارة إلى تحديد الفصل الجاف نظرا لأهميته كعامل بيوميناخي أساسي لما له من تأثير واضح على النشاط الفلاحي والموارد المائية، فجل المحطات بالمنطقة تعرف على الأقل 4 أشهر جافة أو أكثر، وذلك من شهر ماي إلى غاية شتنبر، وقد تطول مدة الفصل الجاف أكثر من ذلك في حالة الجفاف المناخي، كما حدث سنوات1997 ،2022، 2023حيث عرفت عدة شهور جفافا واضحا.

4.1. وفرة الموارد المائية السطحية وضعف الموارد الباطنية

ساهمت وفرة التساقطات المطرية وضعف نفاذية التكوينات الصخرية وسيادة التضاريس المرتفعة بمعظم تراب المنطقة، في وفرة المياه السطحية وضعف الفرشة الباطنية.

خريطة رقم 4: خريطة الموارد المائية بالمجال المدروس.

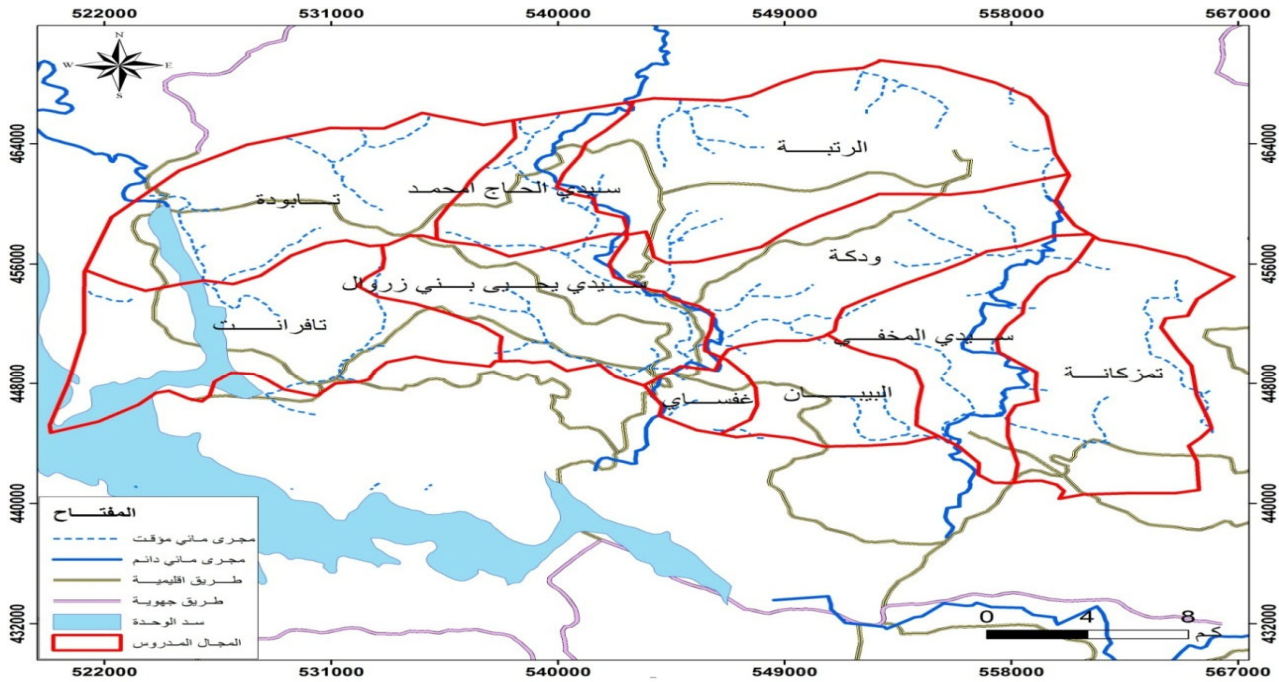

المصدر:الخرائط الطبوغرافية بني احمد،كتامة، تافرانت، تاموروت،تاونات، النموذج الرقمي للاراضي.

ونشير إلى أن جل الأودية التي تتواجد بالمجال هي ذات تصريف موسمي باستثناء واد أولاي وأمزاز اللذان يتميزان بتصريف دائم الجريان إلا أنهما عرفا جفافا مابين سنتي 2021 و2022 وكذا هذه السنة (2023) نتيجة ضعف التساقطات التي ميزت هذه الفترة.

5.1.تنوع التربة بمجال الدراسة

تنتشر بمجال الدراسة عدة أنواع من الأتربة، أهمها:

تربة الترس: وهي تربة دكناء غنية بالمواد العضوية وتتميز بتعمق كبير ونسيج متوازن عموما والمشكل من الطمي والطين والرمال.

تربة الدهس: تكونت نتيجة لتوضع التربات، توجد في قعور الأودية وعلى ضفاف الأنهار وهي خليط من حبيبات الرمل والحبيبات الدقيقة المتنوعة.

التربة الحجرية أو الصخرية: وهي مزيج من صخور مختلفة (حث، رمل، طين....) توجد في المناطق المرتفعة في أقدام الأعراف والسفوح.

6.1. يتميز النمو الديمغرافي بالارتفاع السريع

يتبين من خلال المعطيات الإحصائية أن قبيلة بني زروال تحظى بحمولة سكانية هامة، وما تطرحه هذه الوضعية من صعوبة استقرار الريفيين بهذا الوسط، فالأمر يتعلق بمجال تسجل فيه الكثافات السكانية متوسطات مرتفعة، وتعتبر فيه من أهم عوامل الخلل وفقدان التوازن بين عدد السكان ومواردهم المحلية "إلا أن ما يهمنا ليس هو تحليل النمو الديموغرافي في حد ذاته، وإنما النتائج الاجتماعية المترتبة عنه، وفي منطقة فقيرة كالريف لم تعمل الزيادة الطبيعية السريعة للسكان سوى على تضخيم عدد الفقراء، وممارسة ضغط قوي على الأراضي القابلة للاستغلال الزراعي، مما يعني تعميق اختلال التوازن بين الحمولة الديموغرافية والموارد الفعلية المحدودة."6

جدول رقم 1: الكثافة السكانية بقبيلة بني زروال سنة 2014

الجماعة	عدد السكان	المساحة ب كلم^2	الكثافة السكانية ب ن/الكلم^2
غفساي	6361	12	457
البيان	6303	36	175
ودكة	8494	102	83
الرتبة	16825	166	101
س. الحاج محمد	9326	51	182
س. المخفي	8705	81	107
س. يحي بني زروال	15452	95	162
تابودة	16618	131	126
تافرايت	14246	119	119
تمزكانة	16172	125	129

السنة المصدر: منغرافية بلدية غفساي،2016 + معالجة شخصية.

تترجم هذه الأرقام الثقل الديموغرافي الكبير الذي أصبحت تعرفه قبيلة بني زروال، ذلك أن معظم الجماعات تتميز بحجمها الكبير، بحيث يتجاوز متوسط عدد الأسر بها 2794 أسرة خلال إحصاء 2014، مقابل 2383 أسرة كمتوسط خلال إحصاء 2004، وتتميز من جهة ثانية بارتفاع عدد الأفراد لكل أسرة، حيث يتجاوز المتوسط 5 أفراد، هذا الوضع يبرز الثقل الكبير الذي تعرفه هذه المنطقة أمام الموارد المحدودة، فالأمر يتعلق بوضعية بشرية غير ملائمة، بل معرقلة للنمو، على اعتبار عدم قدرة المجال الاقتصادي احتواء ودمج كل الفئات النشيطة.

7.1. تتميز الشبكة الطرقية بالضعف والهشاشة تحتاج للتهيئة

تعتبر الشبكة الطرقية أداة ضرورية لفك العزلة عن المجال القروي، فهي بمثابة الشرايين التي تحمل الثروة والمعارف والمهارات للساكنة، فانخفاض الولوجية إلى التجمعات البشرية يعني انخفاض نصيبها من هذه التيارات"7.

تساهم الشبكة الرقية في تقوية العلاقات بين بوادي المنطقة ومحيطها، حيث عرفت المنطقة خلال السنوات الأخيرة وسائل نقل متنوعة، ساهمت في فك العزلة عن العديد من التجمعات السكانية المجاورة. غير أن ضعف وتدهور الشبكة الطرقية يحدان من اتساع نطاق الخدمات، ويبقى هذا المشكل إحدى إكراهات العزلة والتهميش التي تعاني

منه المنطقة، "وعليه فإن كثافة الشبكة الطرقية الممتدة على 190 كلم، تصل إلى 1.32 كلم لكل 1000 ساكن، وهي حصة ضعيفة بالمقارنة مع المعدل الوطني (2.28 كلم/1000ن). هذه الأرقام لا تعطي رغم ذلك صورة كافية عن مشاكل المواصلات في المنطقة، فإذا كانت أغلبية الطرق عبارة عن مسالك ثلاثية، يجب التذكير بأنه نظرا لشدة الانحدار وديناميكية التعرية، فإن جزء كبيرا منها (خاصة تلك الموجودة في المناطق الجبلية المرتفعة) يصعب استعمالها خلال فصل الشتاء، كما تتطلب صيانة هذه الطرق تكاليف باهظة"8 .

وعلى هذا الأساس تمت بلورة البرنامج الوطني لبناء الطرق القروية (PNCRR) خلال سنة 1995 "والذي يرمي إلى تحسين معدل ولوج السكان القرويين للخدمات الطرقية، والحد من التفاوتات بين المناطق، علما أن العديد من المناطق ما تزال معزولة تشكو من مشاكل ولوج الخدمات الاجتماعية والإدارية الأساسية"9.

خريطة رقم 5 : واقع الشبكة الطرقية بمجال الدراسة

المصدر: وزارة التجهيز والنقل واللوجيستيك + مجهود شخصي

2. هشاشة الاقتصاد القروي أدت إلى بروز زراعة القنب الهندي

1.2. زراعة معاشية لا تلبي حاجيات السكان

ترتبط الفلاحة بقبيلة بني زروال بالظروف الطبيعية أساسا حيث تضرس السطح، تعرية التربة، عدم انتظام التساقطات، والعوامل البشرية والتاريخية متمثلة في صغر وتشتت الملكيات، تخلف وسائل الإنتاج، قدم الاستغلال، كل هذا ينعكس على مستوى المردودية والإنتاج إذ يظل المردود الفلاحي ضعيفا ومتذبذبا لدى فئات واسعة من الأسر الريفية، وهو ما يتضح من خلال الجدول التالي.

جدول رقم2: مردودية الزراعات الخريفية خلال2013 (دائرة غفساي).

الجماعة المحلية	القمح الصلب		القمح الطري		الشعير	
	المساحة ب (هـ)	المردود ب ق/هـ	المساحة ب (هـ)	المردود ب ق/هـ	المساحة ب (هـ)	المردود ب ق/هـ
الرتبة	500	9	600	8	500	8
ودكة	400	9	500	8	500	8
سيدي يحيى بني زروال	500	9	600	8	400	8
س.الحاج امحمد	400	9	500	8	300	8
سيدي المخفي	500	9	500	8	600	8
البيبان	400	9	500	8	400	8
تمزكانة	450	9	500	8	400	8
تابودة	300	9	4500	8	300	8
تافرانت	300	8	500	8	400	8

المصدر: المديرية الاقليمية للفلاحة تاونات 2013

2.2. تعقد الوضعية العقارية وسيادة ملكيات مجهرية ومشتتة

من أكبر المعيقات التي تعرفها الأرياف المغربية، وتكبح نجاح التنمية بها، تعقد النظام والبنية العقارية للأراضي والتباين الكبير في تملك الأراضي، ينعكس على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالأرياف المغربية عامة، وتلقي بظلالها على الأوساط الحضرية خاصة، هذه العلاقة القائمة بين البوادي والمدن المغربية من شأنها أن تفرز تباينات صارخة بين المجالس وتظل مشاكل الأراضي والبنيات العقارية تعرقل النمو الاقتصادي والتنمية بصفة شمولية10.

جودل رقم3: النظام العقاري للأراضي الصالحة للزراعة بقبيلة بني زروال.

الجماعة	المساحة الصالحة للزراعة ب (هـ)	ملك خاص	اراضي الجموع	اراضي الاحباس	اراضي الكيش	اراضي الدولة
غفساي	168	165	0	3	0	0
البيبان	2538	2326	0	212	0	0
ودكة	3776	3754	0	22	0	0
الرتبة	4847	4758	14	75	0	0
سيدي الحاج امحمد	3368	3355	0	10	0	0
سيدي المخفي	1313	1268	45	0	0	0
س.يحيى بني زروال	4982	4953	0	29	0	0
تافرانت	6133	6058	0	44	0	0
تابودة	2530		2400	130	0	0
تمزكانة	7766	7465	66	29	0	206

المصدر: الاحصاء الفلاحي: 1996 – 1997

كما ورثت القبيلة عقب الفترة الاستعمارية نظاما عقاريا معقدا، إذ عرفت الفلاحة بها سلسلة من التحولات ساهمت إلى حد كبير في تعقيد البنية العقارية، فأصبحت الاستغلالية الفلاحية الكبرى في ملكية فئة محدودة من الملاك الكبار، في حين ظلت الفئات العريضة من الفلاحين بدون أرض، أو أنها تملك ملكيات مجهرية غير قادرة على سد حاجيات الأسر، إذ نجد أن" 73 ٪ تقل مساحتهم عن 5 هكتار و10 ٪ تتجاوز مساحتهم 5 هكتار"11.

3.2. زراعة الكيف بديل حقيقي لسد خصاص القطاع الفلاحي

تشغل زراعة الكيف حيزا مجاليا مهما بشمال المغرب، لكنها تطرح "العديد من الاشكالات القانونية والاجتماعية والمجالية، حيث نجد أن العديد من الفلاحين في الأقاليم الشمالية، لازالوا يعتمدون عليها كمصدر عيش رئيسي، رغم أنها تصنف من الناحية القانونية في: دائرة اللاشرعي منذ مدة طويلة، فهذه الزراعة تحتاج مساحات جد شاسعة قدرتها المنظمة الدولية لمكافحة الجريمة والمخدرات في تقريرها الصادر سنة 2004 بحوالي 134000" 12

تجدر الاشارة الى أن ظهور زراعة القنب الهندي عرف تضاربا على مستوى المصادر التاريخية، فهناك من أرجع هذه الزراعة بالمغرب إلى "بداية القرن الحادي عشر الميلادي"13.

وتشير الدراسات إلى أن زراعة القنب الهندي تم الترخيص لها بجبال الريف منذ أواخر القرن التاسع عشر من قبل السلطان المغربي الحسن الأول الذي سمح لخمس دواوير بقبيلتي كتامة وبني سدات بمزاولتها، منها دواران من قبيلة كتامة "بني عيس" بجماعة عبد الغاية السواحل "وكريحة" بجماعة كتامة المجاورة (Maurer. (G) 1968).

ويؤكد MOULIERASعلى ممارسة سكان هذه المناطق لزراعة القنب الهندي، وذلك بقوله "يزرع القرويون هذه المساحات الصغيرة بالفول والعدس والحمص والقليل من الحبوب للاستهلاك الذاتي على الخصوص.... كما أنهم يقومون بزراعة الكيف"14.

ومع نهاية القرن العشرين عرفت زراعة الكيف انتشارا واسعا حيث أصبحت العديد من مناطق الشمال بما فيها قبيلة سيدي يحيى بني زروال تكسب رزقها من هذه العشبة سواء عن طريق الزراعة أو عن طريق العمل في ميدانها، أو عن طريق الإتجار بها.

ويتطلب إنتاج الكيف عدة مراحل نجملها كالتالي:

4.2. أهم مراحل إنتاج الكيف:

يتم في المرحلة الأولى تهيئة الأرض للحرث (القليب) في شهري يناير وفبراير، ليتم زرع البذور في شهري مارس وأبريل. ثم تأتي بعدها مرحلة التنقية حيث يقوم الفلاحون بمساعدة المشتغلين في إزالة الأعشاب الضارة ثم النبتة الذكورية وترك النبتة الأنثوية.

صورة رقم1: الفصيلة الانثوية للكيف.

المصدر: عدسة الباحث، 13 يونيو، 2022

مباشرة بعد ذلك تبدأ عملية الحصاد على شكل حزمات ليتم تشميسها في مكان معزول لمدة تتراوح بين ثلاثة إلى خمسة أيام ليتم بيعها أو تحويلها إلى مرحلة موالية تسمى "الزيار" pressage حيث تتطلب هذه العملية عملا من نوع خاص.

صورة رقم 2: مراحل تحويل نبتة الكيف الى حشيش صلب

المصدر: عدسة الباحث، 13 يونيو 2022

جدول رقم 4: تطور إنتاج كمية الحشيش بالمغرب بين سنة 2003 و2005

السنوات	2003	2004	2005
الكمية بالطن	3070	2760	1060

المصدر: عبد السلام بوهلال، 2004، نقلا عن: Maroc: UNODC (2003–2004–2005) Enquête sur le canabis,

"يعتبر المغرب من أهم الدول المنتجة والمصدرة للكيف في العالم حسب تقارير الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات في العالم، رغم أن إنتاج مسحوق الكيف في تراجع مستمر بفعل المجهودات التي تبذلها الدولة "15

5.2. مرحلة بيع المنتوج:

تعد مرحلة أخيرة ومهمة، حيث تعطى لها أهمية كبيرة من طرف الفلاحون لكسب أفضل ثمن، وتتميز بكونها تتم بطرق سرية بعيدا عن أعين السلطة المحلية، "حيث يقوم التجار والوسطاء بشراء المحصول من المزارع بعد تقييم جودته ثم يتكلفون بنقله وتخزينه في انتظار تصديره إلى الخارج عن طريق شبكات سرية "16.

تتأثر عملية بيع منتوج الكيف بشكل كبير بالوضعية المالية للمزارع " إذ يضطر المزارع في وضعية صعبة إلى تسويق حصة من منتوجه فور نقله إلى مسكنه بعد الحصاد لتسديد دين عليه أو قضاء أغراض أخرى، فيما يفضل المزارعون الكبار، ارتفاع أسعار المنتوج بالسوق السوداء لتصيفه بعد عملية نفضله وتحويله إلى مسحوق حشيش سهل التسويق وأكثر ربحا عن الكيف سنابل "17

استنادا إلى الدراسة التي قام بهم الأستاذ عبد السلام بوهلال، حيث توصل إلى أن "أغلب الأسر المستجوبة تفضل بيع منتوجاتها بعد تصنيعه أي بعد تحويله إلى مسحوق الشيرا بنسبة 57.66% وأن 27.33% فقط تبيع منتوجاتها خاما (سنابل)، في حين أن 15.31% تجمع بين الطريقتين"18.

3. الوقع السوسيومجالي لزراعة الكيف

1.3. اختلالات نظام التناوب الزراعي التقليدي السائد واستبداله بالزراعة البديلة

أدى إدماج الكيف بقبيلة بني زروال إلى تراجع واضح لزراعة القمح، حيث أصبحت الاستغلالية تتوفر أساسا على منتوجين زراعيين هما الكيف والشعير، وأما زراعة القطاني فلم تعد تقتصر سوى على المشارات الضيقة المحيطة بالسكن والتي تدعى محليا ب (الدمنة).

2.3. تطور الدخل السنوي للفلاحين بعد ممارسة زراعة الكيف

عرف الدخل السنوي للفلاح بعد زرعة القنب الهندي تطورا واضحا، حيث ارتفع معدل الدخل السنوي للفلاحين من 7500 درهم قبل الزراعة إلى 42333 درهم، مما أدى إلى تطور القدرة الشرائية وتحسين الظروف المعيشية لساكنة المنطقة، إضافة إلى توجه الفلاحين إلى شراء العقارات وتطوير مساكنهم من المساكن التقليدية إلى المساكن العصرية.

3.3. انتشار العمل المأجور

شكلت زراعة الكيف مستقبلا زاهرا بالنسبة لفئة عريضة من الفقراء والعاطلين لما تحققه من أرباح وما تتطلبه من يد عاملة، وبالتالي فإنها توفر فرص شغل مهمة بالوسط القروي، حيث أن حوالي 43.33% من الفلاحين يقومون

بتشغيل العمال بشكل دائم بعدما كانت هذه النسبة لا تتجاوز 17% قبل الزراعة، وبالتالي تحول الفلاح القروي من عامل إلى فاعل اجتماعي واقتصادي يساهم في تنشيط البنية الاقتصادية والاجتماعية بالبادية.

4.3. تحول العلاقات التقليدية للإنتاج: من التويزة إلى العمل المأجور

بعدما كان نظام التويزة يعد شكلا من أشكال التضامن، حيث "يقوم على إرادة جماعية تطوعية، وهو نظام يتجند من خلاله فلاحو دوار أو قبيلة معينة، لتبادل منفعة العمل بشكل دوري"19 .

أصبح هذا النظام اليوم يتلاشى نظرا لتسرب القيم الرأسمالية والفردانية القائمة على العمل مقابل أجر محدد، ولا نستثني أن لزراعة الكيف تأثير كبير في هذه المحصلة بالمنطقة.

5.3. تطور الهجرة المعاكسة

عرفت الهجرة بقبيلة بني زروال خلال سنوات التسعينات تغيرا جوهريا ارتبط بظهور زراعة الكيف، حيث تعتبر هذه الأخيرة إحدى المحطات الأساسية في مسلسل الهجرة بالمنطقة، إذ كان لهذا النشاط (الكيف)الأثر البليغ في إحداث تغيرات جوهرية سواء على البنية الاقتصادية أو السوسيومجالية، فإذا كانت الهجرة قبل زراعة الكيف تعد إحدى الدعائم والركائز الأساسية في تقويم وهيكلة الاقتصاد المحلي، أصبح إشعاعها فيما بعد باهتا، ولم تعد قادرة على مقاومة دينامية المجال، فظهرت هجرة من نوع جديد، ويتعلق الأمر بالهجرة المعاكسة والتي أصبحت تهم أساسا فئات الجنود المتقاعدين وأرباب المهن الحرة، مما جعل هذه الشريحة من المجتمع الجبلي تكرس كل جهدها واهتمامها لتطوير هذا النشاط الزراعي الدخيل بغية تحسين ظروفها المعيشية، وعلى هذا الأساس فإن "حركات السكان من وإلى الريف الأوسط غيرت اتجاه تياراتها التقليدية جذريا، فبعد أن كانت المنطقة ترسل أبناءها خارجا للعمل في شتى القطاعات، أصبحت اليوم تستقبل باحثين عن العمل في الفلاحة والبناء...ومن جهات الأقاليم المغربية."20

6.3. ارتفاع تناول المخدرات

يعد تناول المخدرات ظاهرة اجتماعية عالمية حيث "وصل عدد المتعاطين لها سنة 2010 ما قدره 230 مليون شخص في العالم، يستهلك جلهم أي 75 % منهم مخدر الكيف (القنب)، وتصل نسبة السكان الراشدين في العالم للمتعاطين لهذا المخدر حوالي 3.8 %"21 .

تبين من خلال دراستنا ومعايشتنا لهذا المجال، أن استهلاك المخدرات من طرف أفراد المنطقة قد عرف ارتفاعا غير مسبوق خلال السنوات الأخيرة، يمكن تقديره بأكثر من ثلث الأسر (37.6%) يتعاطى أحد أفرادها على الأقل لتناول المخدرات، كما قد نجد بعض الأسر يتعاطى جل أفرادها الذكور لهذه المادة، والسبب في ذلك راجع إلى توفر مادة الحشيش بالمجان في أغلب الحالات من جهة، وسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي أصبح تعرفها قبيلة بني زروال (بطالة، تراجع فرص الشغل، الفقر، الجفاف...الخ).

7.3. تدهور المجال الغابوي عن طريق الاجتثاث والحرائق

يعتبر استقرار السكان بالقرب من الملك الغابوي ، وافتقار العديد منهم إلى امتلاك ملكيات زراعية و صغر مساحتها إن وجدت، أحد الأسباب للاستيلاء على الملك الغابوي "فإذا كانت التوسعات الأولى لزراعة القنب الهندي تمت بشكل أساسي، على حساب باقي المزروعات الأخرى ، فإنه خلال هذه المرحلة ستكون الضحية هي الغابة ، إذ ستتعرض لعملية اجتثاث ممنهج واستبدالها بالكيف البوري"22.

يتم توسيع المساحات الزراعية واستغلالها في زراعة الكيف من طرف الساكنة عن طريق الاجتثاث وإضرام النار، حيث عرفت سنتي" 2004 و2005 حرائق خطيرة بالمجال الغابوي لدائرة غفساي وصل عددها 23 حريق أدى إلى إتلاف أزيد من 251,81 هكتار، بقيمة مالية تقدر بحوالي 2120.450 درهم"23.

صورة رقم 3: حرق واجتثاث الملك الغابوي لتوسيع مساحات الكيف.

المصدر: عدسة الباحث ،13 يونيو 2022

جدول رقم4: الحرائق الغابوية بدائرة غفساي إلى غاية سنة 2022

الجماعة	عدد الحرائق	المساحة ب (هكتار)	القيمة المالية
ودكة	1	0.5	4900
الرتبة	7	195.3	1730200

غفساي	3	2.4	غير واردة
الوردزاغ	7	48.97	360000
تمزكانة	5	4.65	2500
المجموع	23	251.82	2120450

المصدر: مصلحة المياه والغابات2022.

8.3. تهديد حقيقي للفرشاة المائية وخصوبة واستقرار التربة

تتميز الأراضي الفلاحية بمنطقة بني زروال بوضعيتها الهشة، نتيجة غسل مكونات التربة تحت وطأة التساقطات، واستنزافها بفعل الاستغلال المكثف، وهو ما دفع الفلاحين لاستعمال المخصبات بكميات كبيرة، وذلك لتعويض التربة ببعض مكوناتها العضوية وبالتالي تستمر في مردوديتها. هذا إضافة إلى الضغط الكبير التي تعانيه الفرشاة المائية والموارد السطحية جراء سقي حقول الكيف.

صورة رقم4 و5: استعمال المحركات لضخ المياه في عملية السقي

المصدر: عدسة الباحث،13يونيو، 2022

9.3. قانون 13.21: المتعلق بالاستعمالات المشروعة للقنب الهندي:

يهدف هذا القانون إلى:

- تحديد كيفيات تسليم رخص ممارسة الأنشطة المتعلقة بالقنب الهندي.

- تحديد شروط وكيفيات اعتماد بذور القنب الهندي وشتائله من لدن الوكالة الوطنية لتقنين الأنشطة المتعلقة بالقنب الهندي.
- تحديد السجلات وكيفيات مسكها من لدن الوكالة الوطنية لتقنين الأنشطة المتعلقة بالقنب الهندي ومن لدن أصحاب رخص ممارسة الأنشطة المتعلقة بالقنب الهندي.
- تحديد نسب مادة رباعي هيدروكانابينول (THC) المنصوص عليها في المادتين 6 و17 من هذا القانون.
- تحديد كيفيات التصريح بالأضرار والخسائر التي يمكن أن تتعرض لها محاصيل القنب الهندي.
- تحديد الجهة التي تتولى الوصاية على الوكالة الوطنية لتقنين الأنشطة المتعلقة بالقنب الهندي ممثلة في وزارة الداخلية، مع مراعات السلط والاختصاصات المطبقة على المؤسسات العمومية.
- تحديد نماذج عقد بيع محاصيل القنب الهندي ومحضر تسليم المحاصيل المذكورة ومحاضر إتلاف فوائض إنتاج القنب الهندي وبذوره وشتائله ومحاصيله ومنتجاته.

خاتمة:

يتضح من خلال ما سبق أن:

– الظروف الطبيعية تلعب تأثيرا قويا على حياة الساكنة بالمنطقة، حيث نقف على التجزء الكبير للسطح، وقساوة المناخ المتمثلة في طول مدة الفصل الجاف والتركز الكبير للتساقطات في الزمان والمكان، إضافة إلى هشاشة التربة، مما ينعكس على حركات السفوح ومضاعفة ظاهرة التعرية النهرية. أما على المستوى الهيدرولوجي فالمنطقة كانت فيما مضى تتميز بوفرة الموارد المائية السطحية وضعف الموارد الباطنية، إلا أنها عرفت تراجعا كبيرا بفعل زراعة الكيف لتصبح المنطقة تعاني من ندرة المياه.

– المنطقة سجلت نموا ديمغرافيا مهما حيث تسجل الكثافات السكانية متوسطات مرتفعة، وما تشكله من عوامل الخلل وفقدان التوازن بين عدد السكان والموارد المحلية.

– ضعف الاقتصاد القروي وهشاشته ،نظرا لارتباط زراعة الحبوب والقطاني بالظروف الطبيعية(تجزء السطح، عدم انتظام التساقطات، التعرية...إلخ)، إضافة إلى تعقد الوضعية العقارية للأراضي وسيادة ملكيات مجهرية وتشتتها، كلها عوامل ساهمت في ظهور وتطور زراعة القنب الهندي خلال منتصف التسعينات كبديل حقيقي لسد الخصاص والضعف الذي يعاني منه القطاع الفلاحي ،مما انعكس على المستوى السوسيو اقتصادي للفلاحين نتيجة تطور الدخل السنوي بعد الزراعة وانتشار فرص الشغل وتطور الهجرة المعاكسة وتحول العلاقات التقليدية للإنتاج...إلخ، غير أنه من سلبيات زراعة الكيف تأثيرها السلبي على البيئة من خلال تدهور المجال الغابوي عن طريق الاجتثاث والحرائق لتوسيع مساحات الكيف، والضخ الكبير للمياه بهدف سقي محاصيل القنب الهندي والاستعمال المكثف للأسمدة والمخصبات....إلخ.

اقتراحات:

- – على الدولة ومختلف الفاعلين المحليين أن يقوموا ببلورة مشاريع اقتصادية مندمجة لتحريك عجلة التنمية بالمنطقة.
- – تثمين الموارد الترابية بالمنطقة (الزيتون...) بهدف خلق رواج اقتصادي وتنمية ترابية.
- – خلق وحدات انتاجية خاصة بتحويل وانتاج مستخلصات الزيتون قصد توفير فرص الشغل بهذا المجال الذي يعاني من الفقر والبطالة.
- – إنشاء تعاونيات اقتصادية واجتماعية تهدف إلى خلق فرص الشغل داخل هذا المجال القروي المهمش.
- – تطوير البنية التحتية والتجهيزات السوسيو اقتصادية بقبيلة بني زروال وجعلها قطب اشعاع وجذب للاستثمارات...إلخ.
- على الفاعلين الترابيين أن يتبنوا مقا ربة التسويق الترابي وجلب الاستثمارات التي ستنعكس إيجابا على مستوى تحقيق التنمية الترابة بالقبيلة.

- استغلال المؤهلات التي يزخر بها المجال بهدف الاستثمار في القطاع السياحي.

الهوامش:

[1] **حسن ضايض،2005**، "المجال والمجتمع جنوب الريف الأوسط"، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب سايس، فاس، ص، 184.

[2] **Maurer**. (G), « Les montagnes du rif central, étude géomorphologique », N° 14, Rabat, p: 56.

[3] **الخريطة الطبوغرافية لغفساي** بمقياس 50000/1 لسنة 1953.

[4] **شاكر سعيد، 1995**، "مظاهر التشكيل بمجال غفساي (الريف الأوسط): دراسة جيومور فلوحية"، بحث لنيل دبلوم الدراسة العليا في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 183.

[5] **بوشتى الفلاح، 2000**، حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها في الريف الأوسط، أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص125.

[6] **محمد لزعر، 2003–2004**، "هجرة الريفيين الى اسبانيا وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والمجالية: حالة إقليم الحسيمة"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–ظهر المهراز–فاس.

[7] فجال علي (2004)، محاضرات في التدبير العمومي للتنمية القروية للسنة الأولى من دبلوم الدراسات العليا المعمقة، شعبة الجغرافية، وحدة التكوين والبحث، الأرياف المغربية، المجال والإنسان والتنمية المستدامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنطيرة..

[8] **HAMDOUCH**, **H et KHACHANI**, **M**, (**2005**): les déterminants de l'émigration internationale au Maghreb, Revue Critique économique, La nouvelle question migratoire cas du Maroc, p ,6.

[9] المغرب الممكن، تقرير الخمسينية (2006)، 50 سنة من التنمية البشرية بالمغرب، وآفاق سنة 2005، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ص 99.

[10] **karzazi**. (**M**), « **Migration et développement au Maroc** », **Série Thèse et Mémoires**, **N°55 p : 89**.

[11] **الإحصاء الفلاحي، 1996–1997**.

[12] **عبد السلام بوهلال، 2014**، الموارد وآفاق التنمية في الريف الأوسط، أطروحة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة، ص، 173.

[13] **Boudouah** .(**M**),**2014**, « La culture du Kif et son impact économique et social dans le rif central(Maroc) : cas de Ktama».

[14] **عبد السلام بوهلال، 2014**، الموارد وآفاق التنمية في الريف الأوسط، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة، ص، 177. نقلا عن: **Moulièras**. (**A**), (**1989**), « Le Maroc inconnu », tom 1.p :9.

[15] **عبد السلام بوهلال، 2014**، الموارد وآفاق التنمية في الريف الأوسط، أطروحة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة، ص، 194.

[16] **عبد السلام بوهلال، 2014**، نفس المرجع، ص، 191، نقلا عن عبد الله العوينة وآخرون، 2008، ص، 86.

[17] **عبد السلام بوهلال، 2014**، مرجع سابق، ص، 191.

[18] **عبد السلام بوهلال، 2014**، نفس المرجع، ص، 191.

[19] **عبد الله هرهار، 2012**، سياسة الأرض وعوائق التنمية، مجلة إضافات، العدد 19 صيف 2012، ص 117.

[20] **محمد العبدلاوي، 1994**، بعض مظاهر التحولات المجالية والسوسيو اقتصادية الحديثة بالريف الأوسط العالي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية عبد المالك السعدي، تطوان، عدد 6، ص،21.

[21] **عبد السلام بوهلال،2014**، مرجع سابق، ص، 194، نقلا عن **الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات (2013)**: تقرير 2013، ص40.

[22] **عبد السلام بوهلال،2014**، نفس المرجع، ص، 182.

[23] **مصلحة المياه والغابات 2022**.